

البيان القرآني الذاتي

الأبعاد الإنسانية
في القرآن الكريم



أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر | أقواس
العراق 2026

الابعاد الإنسانية في القرآن الكريم

بالبیان القرآني الذاتي

أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر

المحتويات

4.....	المقدمة
5.....	فصل: القرآن الكريم: الوثيقة العالمية للإنسان والمشاع الحضاري للبشرية
15.....	فصل: المرتكزات العلمية للأبعاد الإنسانية في الخطاب القرآني: رؤية في المنهج والبيان
23.....	فصل: أسس الاتجاه الإنساني في البيان القرآني
27.....	فصل: المدارات الحضارية في خطاب القرآن: بيان النفع العام وهندسة العمران
32.....	فصل: آفاق العالمية والخدمة الفعلية للبشرية في خطاب القرآن
37.....	فصل: الأسس الفلسفية والحضارية في بيان القرآن
42.....	فصل: القرآن من "النص التاريخي" إلى "المشاع الحضاري"
46.....	خلاصة الإطار الفلسفي والمنهجي: القرآن بوصفه "بياناً كونياً" للإنسان
51.....	منهج البيان القرآني الذاتي
53.....	أولاً: منهج البيان القرآني الذاتي بالحماسية النسقية
57.....	ثانياً: المستويات الإجرائية (الحماسية النسقية)
64.....	ثالثاً: المسوغات المعرفية ومبررات الابتكار
65.....	رابعاً: الهندسة الإجرائية (الآلية التطبيقية للمنهج)
66.....	خامساً: الاستحقاق الحضاري والأبعاد الإنسانية

المقدمة

إن استكشاف "الأبعاد الإنسانية" في خطاب القرآن ليست مجرد ترف فكري أو بحث أكاديمي، بل هي ضرورة وجودية لإنقاذ الإنسان من حالة "التيه المعرفي" واغتراب الروح. إن تطبيق الحماسية النسقية هو الضمانة الوحيدة لتحويل النص من "ذاكرة دينية" تاريخية إلى "فاعل حضاري" معاصر، يقدم للناس:

- "اليقين" في زمن الحيرة والشك.
- "العدل" في زمن الظلم والاستبداد.
- "المعنى" في زمن المادية المفرطة.

بذلك، تتحقق "عالمية القرآن" الحقيقية، لا كشعار يُرفع، بل كواقع يُعاش؛ بوصفه {هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (يوسف: 111). إن "الإنسان" هو قلب هذا المشروع، والعالمية هي الثمرة الحتمية للانضباط المنهجي في استنطاق الوحي لخدمة البشرية جمعاء، دون تمييز أو إقصاء.

وهنا فصول:

فصل: القرآن الكريم: الوثيقة العالمية للإنسان والمشاع

الحضاري للبشرية

تمهيد: في عالمية النداء

لم تكن غاية الوحي يوماً حكراً على فئة دون غيرها، ولا انحبست دلالاته في حدود زمنية أو أطر عرقية ضيقة، بل كان النداء القرآني دوماً متبوعاً بصيحة التذكير الكبرى: "يا أيها الناس". إن هذا النداء لم يكن مجرد استهلال لغوي، بل هو إعلان عن "وحدانية الخطاب" الموجه إلى "وحدانية النوع البشري". ومن هنا، يبرز منهج البيان القرآني ليعيد اكتشاف القرآن بوصفه "وثيقة ميلاد عالمية" تتجاوز الحدود الجغرافية والتاريخية والمذهبية، لتخاطب الجوهر الإنساني المشترك الكامن في أعماق كل فرد، بغض النظر عن انتمائه أو لونه.

إن الغاية القصوى لهذا المنهج هي إمطة اللثام عن الأبعاد الإنسانية التي أودعها الخالق في النص، ليصبح القرآن "تبياناً" حياً يقدم حلولاً كونية لمعضلات الإنسان المعاصر. فالقرآن

في جوهره ليس كتاباً طقوسياً منغلِقاً، بل هو "منهج حياة" يهدف إلى تحرير الإنسان من أغلال المادة وسجون الأنا، ليعيده إلى فضاء الاستخلاف الرحب.

أولاً: القرآن بوصفه "دستور الكرامة الإنسانية"

لقد وضع القرآن الكريم "الإنسان" في قلب الوجود، وجعله نقطة ارتكاز الوحي. إن أول بُعد إنساني نلمسه هو "التكريم المطلق" (ولقد كرّمنا بني آدم)، وهو تكريم يسبق الإيمان والعمل؛ إنه تكريم "الكينونة". هذا البُعد الحضاري يجعل من القرآن وثيقة حقوقية عالمية تمنع استعباد الإنسان أو امتهانه تحت أي مبرر.

وعندما يتحدث القرآن عن قصص الأنبياء أو الأمم الغابرة، فإنه لا يستعرض تاريخاً ميتاً، بل يطرح "نماذج سيكولوجية" وحالات إنسانية متكررة، مما يجعل النص عابراً للزمان. إنها "السنن الحضارية" التي تحكم مسار البشرية؛ فالعدل يُقيم الدول، والظلم يُفني الحضارات، وهذا قانون كوني يخاطب العقل البشري في كل عصر ومكان.

ثانياً: الجوهر الإنساني المشترك والمعضلات المعاصرة

يعيش إنسان العصر الحديث حالة من "الاغتراب الوجودي"، حيث تقدمت الآلة وتراجعت القيم، وتضخمت المادة وانكمشت الروح. وهنا تبرز أهمية "الأبعاد الإنسانية في القرآن" لتقديم مصل مضاد لهذا التردّي الحضاري.

- في البُعد المعرفي: يدعو القرآن إلى "تحرير العقل" من التبعية والتقليد، ويجعل "التفكير" فريضة إنسانية، مما يؤسس لمنهج علمي رصين يجمع بين الوحي والواقع.
- في البُعد النفسي: يقدم القرآن منظومة "السلم الداخلي" (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)، وهي ليست طقساً انعزالياً، بل هي حالة من التصالح مع الذات ومع الكون، تمنح الإنسان التوازن اللازم لمواجهة ضغوط الحياة الرقمية المتسارعة.

ثالثاً: الحلول الكونية للمعضلات الاقتصادية والاجتماعية

لا ينفصل القرآن عن الواقع المرير للبشرية، بل يغوص في تفاصيله ليقدّم حلولاً تتجاوز النظريات الوضعية:

1. الاقتصاد الإنساني: بدلاً من صراع الطبقات أو استغلال الأقياء، يطرح القرآن نظام "التكافل والبركة"؛ حيث المال ليس غاية بل وسيلة لتحقيق الكرامة. تحريم الربا وتشجيع القرض الحسن والإنفاق هي أدوات قرآنية لفك أسر الإنسان من عبودية "رأس المال المتوحش".

2. التوثيق والعدالة الناجزة: إن اهتمام القرآن بأدق تفاصيل المعاملات (كالشهادة والكتابة) يعكس حرصاً إلهياً على "استدامة الثقة" بين البشر، وهي أساس أي نهضة حضارية حقيقية.

رابعاً: القرآن كرسالة "سلام عالمي"

إن المنهج النسقي لإماتة اللثام عن الأبعاد الإنسانية يكشف أن القرآن يسعى لبناء "المجتمع الإنساني الواحد"؛ المجتمع الذي تقوم فيه العلاقات على التعارف لا التصادم (لتعارفوا). هذا "التعارف الحضاري" هو البديل القرآني لـ "صراع الحضارات". إنه يدعو إلى الحوار والتي هي أحسن، ويجعل من الاختلاف

(في الألسن والألوان) آية من آيات الجمال والإبداع الإلهي،
لا سبباً للنزاع والشحناء.

إن الغاية من هذا المنهج ليست مجرد الترف الفكري أو التبحر
في البلاغة اللغوية، بل هي استعادة "الإنسان" الذي ضاع في
زحام الماديات. إن القرآن يقدم نفسه كـ "روح" (وكذلك
أوحينا إليك روحاً من أمرنا)، والروح هي التي تمنح الجسد
الحضاري حياته ومعناه.

إن منهجنا في تتبع الأبعاد الإنسانية والحضارية، وخاصة في
سورة البقرة التي تعد "فسطاط القرآن" وجامعة أحكامه، هو
محاولة لتقديم الوحي للعالم بوصفه "مشاعاً إنسانياً"، ونوراً
يستضيء به كل باحث عن الحق، وصرافاً مستقيماً يؤدي
إلى عمران الأرض وسعادة الإنسان. إن القرآن اليوم، وأكثر
من أي وقت مضى، هو الحاجة الإنسانية الملحة لردم الفجوة
بين التقدم التقني والانحطاط الأخلاقي، ليكون بحق "تبياناً
لكل شيء" وهدىً ورحمة للعالمين.

فلسفة العالمية والمنزع الإنساني في البيان القرآني

إن "العالمية" في منهج البيان القرآني ليست مجرد انتشار جغرافي أو تمدد ديموغرافي، بل هي "عالمية الدلالة" و"إنسانية المقصد". ينهض هذا المنهج، عبر أدواته النسقية، بتحويل التعامل مع النص من كونه "خطاباً مستغلقاً" يحتاج إلى وسائط تاريخية ضيقة، إلى "بيان مبين" يتدفق بسلاسة ليخاطب الفطرة البشرية في أنقى صورها. إن القرآن، بهذا المنظور، ليس كتاباً لفئة بل هو "رسالة الخالق إلى خلقه" بأسلوب يتجاوز تعقيدات التمييز البشري.

أولاً: كسر حواجز الوصاية وتحقيق "ديمقراطية المعرفة"

يهدف منهج البيان القرآني إلى تحرير الإنسان من "الكهنوت المعرفي" والتعقيد المنهجي الذي حال، عبر قرون، بين الفرد العادي وبين تدبر مراد الله المباشر. لقد تراكمت الحجب الاصطلاحية والفلسفية حتى حُيِّل للبعض أن الوحي لغة نخبوية لا يفك شفراتها إلا الراسخون في التأويل التاريخي.

- التيسير كتمكين إنساني: إن مرحلة "التيسير" في المنهج ليست تبسيطاً مخلاً، بل هي عملية "استعادة الثقة"؛ تمكين لكل إنسان، أياً كان موقعه الثقافي أو الجغرافي، من ملامسة روح النص.
- عالمية الرسالة: حين يتحرر الخطاب القرآني من وصاية التفسيرات المذهبية الضيقة، فإنه يستعيد صفته كـ "بيان للناس". هذا التحرر يحقق ما يمكن تسميته بـ "ديمقراطية المعرفة القرآنية"، حيث يصبح النص مشاعاً إنسانياً، يجد فيه كل باحث عن الحق ضالته دون وسيط، مما يليق بجلال الرسالة التي نزل بها الوحي للعالمين.

ثانياً: النشر البياني.. اللغة الإنسانية المشتركة

عبر مرحلة "النشر" في المنهج، يتم تحويل التراكيب القرآنية المركزة والمشحونة بالدلالات الكثيفة إلى لغة "بيانية بشرية" واضحة

ومسترسلة. هذه المرحلة هي الجسر الذي يعبر عليه النص من كونه "نصاً مقدساً يُتلى" إلى "منهج حياة يُفهم ويُتمثل".

- عوامة القيم: من خلال النشر البياني، تتحول القيم القرآنية الكبرى (كالعدل، والجمال، والصدق، والحرية) من مفاهيم مجردة إلى "لغة حوار عالمية". إنها عملية "ترجمة دلالية" تجعل العقل المعاصر — سواء في الشرق أو الغرب — قادراً على تلمس نفعية هذه القيم في واقعه دون الحاجة لمقدمات مذهبية أو تاريخية معقدة.

- الخطاب القرآني كأداة تواصل: إن تحويل النص إلى نثرات بيانية واضحة يجعل من خطاب القرآن لغة عالمية تفهمها الفطرة قبل العاطفة، مما يحول القرآن من "نص خلافي" في نظر البعض إلى "أفق ائتلافي" تلتقي عنده العقول الإنسانية الباحثة عن العدل والكرامة.

ثالثاً: المقصد الإنساني في الخطاب القرآني

إن المنهج النسقي في البيان القرآني يركز على أن غاية الوحي هي "نفع البشرية". فالخطاب القرآني لا يستهدف بناء منظومة لاهوتية معزولة، بل يسعى لبناء "الإنسان الحضاري".

- وحدة المصير الإنساني: يبرز المنهج كيف أن القرآن يخاطب المشكلات الوجودية الكبرى (القلق، الظلم، الفقر، الجهل) ببيان يقدم "حلولاً كونية". إن هذا المنزع الإنساني هو الذي يمنح المنهج قوته؛ لأنه يبحث في النص عما يجمع البشر، لا عما يفرقهم.
- البيان المبين: إن تحول النص إلى "بيان مبين" يعني أن النص يمتلك سلطته الإقناعية الخاصة بفضل اتساقه مع الفطرة. فالقرآن لا يحتاج إلى "محامٍ" يدافع عنه بقدر ما يحتاج إلى "مبين" يزيل الغبار عن آلائه الإنسانية لتبهر العالم بضوئها الفطري.

نحو أفق قرآني عالمي

إن فلسفة العالمية في منهج البيان القرآني هي دعوة لإعادة الاعتبار للإنسان بوصفه المتلقي الأول والوحيد لهذا الوحي. إن كسر حواجز الوصاية المعرفية، واستخدام اللغة الإنسانية المشتركة عبر النثر البياني، هما الأدوات اللتان ستعيان للقرآن دوره كـ "قائد حضاري" للبشرية.

إننا لا نقدم تفسيراً جديداً بقدر ما نقدم "كشفاً بيانياً"؛ كشفاً يجعل من خطاب القرآن وثيقة عالمية تمنح الإنسان المعاصر المعنى والغاية، وتؤسس لعالم تسوده قيم الوحي التي هي في حقيقتها أرقى ما تطمح إليه الإنسانية في مسيرتها نحو الكمال.

فصل: المرتكزات العلمية للأبعاد الإنسانية في الخطاب

القرآني: رؤية في المنهج والبيان

لا يمكن فهم "الأبعاد الإنسانية" في القرآن الكريم بوصفها مجرد سمات أخلاقية عابرة، بل هي أُسس بنيوية يقوم عليها صرح الوحي بالكامل. إن رصانة هذا الطرح تستمد قوتها من كون القرآن نصاً "إنسانياً بامتياز" في خطابه، و"إلهياً بامتياز" في مصدره. وتتحدد أسس هذه الأبعاد عبر ثلاث مرتكزات علمية ومنهجية:

أولاً: الكلية الإنسانية (وحدة النوع البشري)

تقوم رصانة الأبعاد الإنسانية في القرآن على قاعدة "الكلية"؛ أي أن الخطاب يتجاوز "الفرد" و"الطائفة" ليخاطب "الإنسان" كماهية وجودية واحدة.

• وحدة المنشأ والمصير: ينطلق القرآن من حقيقة

بيولوجية وروحية واحدة (خلقكم من نفس

واحدة)، مما يلغي علمياً وفلسفياً جذور العنصرية

والتفاضل العرقي. هذا "التوحيد البشري" هو الأساس الذي تنبثق منه قيم المساواة والعدالة العالمية.

- خطاب الفطرة: إن البيان القرآني لا يخاطب ذاكرة الإنسان التاريخية فحسب، بل يخاطب "بنيته الفطرية" التي لا تتبدل بتبدل الجغرافيا أو العصور. ومن هنا تصبح قيم كـ "الحق" و"الرحمة" قوانين علمية ضرورية لبقاء النوع، وليست مجرد نصائح وعظمية.

ثانياً: العقلانية والتدبير (ديمقراطية المعرفة القرآنية)

أحد أهم أسس البُعد الإنساني هو تحرير "العقل البشري" ومنحه سلطة الفهم المباشر للنص، وهو ما نسميه بكسر حواجز الوصاية.

- البيان الذاتي: الرصانة العلمية للمنهج النسقي تكمن في اعتبار القرآن "تبياناً لكل شيء"؛ أي أنه يمتلك أدوات شرحه في ذاته. هذا "البيان" يمنح

الإنسان — أي إنسان — القدرة على استنطاق النص واستخراج كنوزه دون الحاجة إلى "كهنوت معرفي" أو قوالب مذهبية مسبقة.

- التيسير المنهجي: إن التيسير القرآني ليس تبسيطاً سطحياً، بل هو "تمكين معرفي" يهدف إلى جعل "الحكمة" مشاعاً بشرياً. فالنص ميسر للذكر (الفهم والتمثل) لكل من يمتلك أدوات التدبر، وهذا هو جوهر "العالمية" التي تليق برسالة خاتمة.

ثالثاً: المقصدية النفعية (القرآن كوثيقة عمران)

إن الأبعاد الإنسانية في القرآن تجد رصانتها في "مقاصدها العملية". فالوحي لم ينزل لإنشاء جدليات فلسفية، بل لإقامة "حياة طيبة".

- الإنسان مركزية الاستخلاف: يؤصل القرآن لمفهوم "الاستخلاف"، وهو بُعد إنساني يجعل من عمارة الأرض، وصيانة النفس، وحفظ العقل، غايات عليا للتشريع.

- اللغة الإنسانية المشتركة: عبر تحويل النص إلى "نثر بياني" واضح، تبرز القيم القرآنية كحلول لمعضلات بشرية كبرى. فالعدل في القرآن ليس مفهوماً لاهوتياً، بل هو "ميزان اجتماعي" يحمي الضعيف من سطوة القوي، والصدقة ليست مجرد ثواب أخروي، بل هي "أداة توازن مالي" تمنع تراكم الثروة في يد فئة دون أخرى.

رابعاً: كمال التوازن (الروح والمادة)

تتجلى الرصانة العلمية للأبعاد الإنسانية في قدرة القرآن على ردم الفجوة بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وبين احتياج الروح ومتطلبات الجسد.

- إن القرآن لا يقدم إنساناً "ملائكياً" مستحيلاً، بل يقدم إنساناً واقعياً "يخطئ وينسى"، ويضع له مسارات العودة والترقي.
- هذا المنزع الواقعي هو الذي يجعل القرآن وثيقة عالمية؛ لأنه يتعامل مع الإنسان كما هو، لا كما

يجب أن يكون في المتخيل الفلسفي، موفراً له أدوات "التزكية" التي تحول الطاقة الفردية إلى طاقة حضارية نافعة.

خلاصة القول: إن أسس الأبعاد الإنسانية في القرآن الكريم تنطلق من أن الوحي هو "كتيب التشغيل الإلهي للآلة البشرية". وبناءً عليه، فإن أي قراءة لا تضع نفع الإنسان وكرامته وعالميته في مقدمة أولوياتها هي قراءة قاصرة عن إدراك "البيان المبين". إن منهجنا النسقي يهدف إلى إعادة ربط الإنسان بخالقه عبر "بوابته الإنسانية"، ليكون القرآن بحق "هدىً للناس" كافة، ونوراً يضيء دروب الحضارة التي أظلمتها الماديات.

ختاماً نضع بين يدي القارئ شواهد نصية من الذكر الحكيم، تمثل "مرتكزات قطعية" تؤكد أن المنزع الإنساني هو العمود الفقري للرسالة القرآنية، وذلك في إيجاز يبرز صراحة الدليل:

شواهد نصية على الأبعاد الإنسانية في القرآن

1. وحدة الأصل والكرامة الوجودية

- الدليل: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الإسراء: 70).
- البُعد الإنساني: إقرار الكرامة لـ "بني آدم" على إطلاقهم، دون قيد بعرق أو معتقد، وهي كرامة ذاتية تسبق أي تكليف.

2. عالمية الخطاب وتنوع المشاع الحضاري

- الدليل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (الحجرات: 13).

- البُعد الإنساني: تحويل الاختلاف من سبب للصراع إلى "منصة للتعارف"، وجعل "الناس" هم المخاطب الأصيل في وحدة المنشأ.

3. سعة التكليف ومراعاة الطاعة البشرية

• الدليل: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } (البقرة: 286).

• البُعد الإنساني: قاعدة "الوسع" هي قمة الإنسانية في التشريع، حيث ترفع الإصر والأغلال وتراعي القدرات المحدودة للإنسان.

4. العدل المطلق كقيمة كونية

• الدليل: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ } (النحل: 90).

• البُعد الإنساني: تقديم العدل كأمر إلهي مطلق، وهو حاجة إنسانية فطرية لاستقامة الحياة الاجتماعية وعمران الأرض.

5. الرحمة كرسالة شاملة

• الدليل: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (الأنبياء: 107).

- البُعد الإنساني: حصر غاية البعثة والوحي في "الرحمة"، وهي عاطفة وقيمة إنسانية كبرى تشمل الوجود كله.

6. تيسير المعرفة للجميع

- الدليل: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} (القمر: 17).
 - البُعد الإنساني: إعلان "التيسير" هو دعوة لكل إنسان لاستعادة حقه في الفهم والتدبر، وكسر حواجز التعقيد أمام الوعي البشري.
- بهذا يتبين أن القرآن الكريم هو "كتاب الإنسان" الأول، الذي نزل من أجل سعادته، وحماية حقوقه، وضمان عيشه في سلام وعدل تحت مظلة الوحي الكوني.

فصل: أسس الاتجاه الإنساني في البيان القرآني
يقوم الاتجاه الإنساني في هذا المنهج (البيان القرآني الذاتي)
على ركائز صلبة تمثل الأرضية الأخلاقية والمعرفية التي يُبنى
عليها "ال عمران البشري"؛ وهي ركائز تحول النص من مجرد
تشريعات إلى "فلسفة وجودية" متكاملة:

1. أصل الكرامة الذاتية (الاستخلاف لا الاستنزاف)

ينطلق المنهج من قاعدة أن الإنسان "مكرم" بمرسوم إلهي
كوني قطعي. فمن خلال استنطاق معاني "تدبير الأمر" في
الخطاب القرآني، يتبين أن الإنسان ليس ذرة تائهة في كون
عبثي، ولا هو مجرد "ترس" في آلة إنتاجية ضخمة، بل هو
"مستخلف" سيادي مكلف بعمارة الأرض.

- إن مفهوم "الاستخلاف" في البيان القرآني يمنح
الإنسان شعوراً بالمرجعية والهدف؛ فهو ليس مالِكاً
مستبدلاً للطبيعة (استنزاف)، بل هو مؤتمن عليها
(استخلاف). هذا الأساس يواجه "العدمية"
المعاصرة وقلق الوجود، عبر إثبات أن لكل فعل

إنساني قيمة في الميزان الكوني. إن كرامة الإنسان هنا "ذاتية" لا تُمنح من سلطة بشرية، بل هي منحة من الخالق، مما يجعلها عصية على المصادرة أو الامتهان.

2. التوازن النفسي والسيادة الأخلاقية (سيكولوجيا الوحي)

يؤصل المنهج لـ "قانون الصبر والتقوى" و "نزكية النفس" بوصفها أدوات إجرائية (خوارزميات سلوكية) لا مجرد نصائح وعظمية مجردة. فالبيان القرآني يتعامل مع النفس البشرية بوصفها محرك الفعل الحضاري.

- حين يجرد المنهج الأبعاد الإنسانية في قصص الأنبياء — كيوسف أو أيوب أو موسى — فإنه لا يقف عند "السرد التاريخي"، بل يستخرج "قواعد المرونة النفسية" وإدارة الأزمات الكبرى. إن "نزكية النفس" في هذا السياق هي "علم إدارة الدوافع"، و"الصبر" هو "قوة الاحتمال الواعي". هذا التأصيل يخدم البشرية في تحقيق استقرار نفسي

عميق، حيث يتحول النص القرآني إلى "مصل
واقٍ" ضد الانهيارات النفسية، محققاً سيادة أخلاقية
تمكن الفرد من قيادة ذاته وسط عواصف الماديات.

3. إدارة التنوع (قاعدة التمايز بالإرادة لا بالانتماء)

من الأسس الجوهرية لهذا الاتجاه هو تقديم القرآن لنموذج
"التنوع الخلاق". إن القاعدة المستنبطة من قوله تعالى
(يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ)
تؤسس لمدينة فاضلة تعترف بوحدة "المادة الإنسانية" وتعدد
"الثمرات الحضارية".

- يرسخ البيان القرآني لمبدأ أن "الاختلاف" ليس
خللاً في المنظومة، بل هو "آية" جمالية وضرورة
وظيفية. إن التمايز بين البشر في هذا المنهج يقوم
على "الإرادة والعمل" (لكل درجات مما عملوا)
وليس على العرق أو اللون أو الطبقة. هذا هو
الجواب القرآني الحاسم على "صراعات الهويات"
و"المركزيات العرقية" التي تمزق العالم اليوم. فالمنهج

النسقي يثبت أن القرآن يدير التنوع عبر "التعارف"
لا "التصادم"، محولاً التعددية إلى ثراء معرفي يخدم
المصير الإنساني المشترك.

إن هذه الركائز الثلاث (الكرامة، التوازن، التنوع) تحول
البيان القرآني إلى قوة ناعمة قادرة على مخاطبة الضمير
العالمي. إنها أسس لا تستهدف "تديين" العالم بقدر ما
تستهدف "أنسنته" وفق المعايير الإلهية، لتجعل من القرآن
الكريم مرجعاً كونياً لكل من ينشد العدالة والسلام والنمو
النفسي السليم في غابة الحضارة الحديثة.

فصل: المدارات الحضارية في خطاب القرآن: بيان النفع العام وهندسة العمران

ينتقل خطاب القرآن من كونه أداة لـ "الترميم النفسي" للفرد إلى كونه "دستوراً للهندسة الحضارية" للمجتمع؛ فالقرآن ليس مجرد نصٍّ للتبرك، بل هو بيانٌ مبينٌ يضع المخططات الهيكلية لبناء مدينة مستدامة وعادلة عبر مساراته الكبرى:

1. في العدل والقانون (مأسسة الأخلاق)

لا يكتفي بيان القرآن بالدعوة الوعظية لفضيلة الصدق، بل يحولها في خطابه إلى "أحكام إجرائية" تنظم المؤسسات وتضبط الحراك المجتمعي.

• النزاهة الإدارية: عندما يقرر خطاب القرآن قاعدة:

{ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ } (الأنعام:

152)، فإنه يحول الأمانة من شعور قلبي إلى

قاعدة للنزاهة الإدارية والشفافية الاقتصادية، مما

يخدم قضية "العدالة الاجتماعية" وحقوق الإنسان بمفهومها التقني الصارم.

- أخلاقيات القوة: يضع خطاب القرآن حداً للظلم عبر "قاعدة المرجعية العليا"، حيث القوي والضعيف سيان أمام الحق؛ وشاهده قوله تعالى: {وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} (النساء: 58). هذا البيان يحمي كرامة الفرد من تغول السلطة أو المال، ويؤسس لسيادة القانون فوق الهوى البشري.

2. في العلم والمنطق الاستدلالي (عصرنة الخطاب)

إن إيجاب "التفكير" و"التعقل" كقواعد إدراكية في بيان القرآن يدفع البشرية نحو اكتشاف قوانين المادة والكون. الخطاب القرآني لا يرى العلم رفاهية، بل هو "فريضة استكشافية" تخدم الوجود البشري.

- الارتباط العضوي بالعلم: يربط خطاب القرآن الوحي بالعلم ربطاً وجودياً؛ فالنص هو الموجه

والملمه للبحث العلمي الرصين، كما في قوله تعالى:
{ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } (فصلت: 53). هذا البيان يجعل
من استكشاف الفيزياء والكون عبادة معرفية تخدم
نفع البشرية.

- البرهنة والتعليل: يؤصل الخطاب القرآني للمنهج
التجريبي والنقدي برفضه للتبعية والظن، كما في
قوله: { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }
(البقرة: 111)، مما يحزر العقل البشري من الخرافة
ويوجهه نحو البناء القائم على اليقين العلمي.

3. في الاستدامة البيئية (التوازن الكوني)

يخدم بيان القرآن البشرية بتقديم رؤية "توازنية" للبيئة تقوم
على تكامل العناصر وصيانة الموارد. الأرض في الخطاب
القرآني ليست ملكية للاستنزاف، بل هي "أمانة" مسخرة
وموزونة.

- قاعدة الميزان: ينطلق الخطاب من قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ} (الرحمن: 7-8). هذا البيان يؤسس لحضارة تحترم البيئة وتكافح الفساد الحيوي، محذراً من أي إخلال بالتوازن الطبيعي الذي أودعه الخالق.
- الإنسان مستخلف لا مستنزف: ذروة الوعي البيئي تكمن في نهي القرآن الصريح عن الإفساد المادي والمعنوي: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} (الأعراف: 56). هذا الأساس يحول حماية الكوكب من "موضة" عابرة إلى "مبدأ" أخلاقي أصيل يحمي مستقبل الأجيال القادمة.

إن المدارات الحضارية التي يطرحها خطاب القرآن تثبت أن بيان القرآن هو مشروع لاستعادة فاعلية الإنسان في الكون. إن تحويل النصوص من "تلاوة سردية" إلى "قواعد هندسية"

للعدل والعلم والبيئة هو الذي يمنح القرآن صفة "البيان
المبين" لكل زمان ومكان، ليظل الوحي هو المظلة الرحبة التي
يستظل بها الإنسان في رحلته نحو كماله الحضاري.

فصل: آفاق العالمية والخدمة الفعلية للبشرية في خطاب

القرآن

إن الغاية القصوى من استنطاق بيان القرآن هي إثبات أن

الوحي يمتلك "أدوات تشغيلية" وقوانين محركة قادرة على

النهوض بالبشرية في مختلف مستوياتها الروحية،

والاجتماعية، والاقتصادية. ولا يتحقق ذلك إلا عبر مدارين

أساسيين:

1. صناعة الوعي القيمي (علاج أزمت الإنسان المعاصر)

يعمل خطاب القرآن على إعادة بناء "الإنسان" من

الداخل، معالجاً أمراض المادية الصماء والأناثية المفرطة التي

تفتك بالمجتمعات الحديثة، وذلك عبر ركيزتين:

• التراتبية المعرفية (العلم درجات): يؤصل القرآن لمبدأ

"التواضع المعرفي" وفتح آفاق التعلم المستمر،

وشاهده قوله تعالى: { تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ۗ }

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } (يوسف: 76). هذا

البيان يمنع الإنسان من الطغيان المعرفي أو ادعاء

امتلاك الحقيقة المطلقة، مما يفتح الباب للحوار
الإنساني والتعاون العلمي المثمر.

- تزكية الذات وتحجيم الأنانية: يواجه القرآن النزعة
الاستهلاكية والأنانية التي تمزق النسيج الاجتماعي
بقوله تعالى: { وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ } (الحشر: 9). إن صناعة الوعي هنا
تتمثل في تحويل "العطاء" إلى قيمة عليا تضمن
التوازن النفسي للفرد والاستقرار المادي للمجتمع.

2. إنتاج القوانين الكلية (المفاتيح الإرشادية للعلوم
الإنسانية)

يقدم بيان القرآن نماذج إرشادية توفر لعلوم الاجتماع
والاقتصاد والسياسة مفاتيح لفهم حركة المجتمعات وإدارة
الموارد بعدالة متناهية:

- قانون وحدة المصدر وتنوع المخرجات: يتجلى هذا
القانون في قوله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خُلُقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ اللَّسَانِ وَاللُّغَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ { (الروم: 22). هذا البيان يمنح علم الاجتماع قاعدة ذهبية لإدارة التعددية الثقافية؛ حيث الاختلاف ليس سبباً للصراع بل هو آية جمالية وضرورة وظيفية للتكامل البشري.

- العدالة في توزيع الموارد: يوفر خطاب القرآن لعلم الاقتصاد مفتاحاً لإدارة المال يمنع التكسب الطبقي، كما في قوله تعالى: { كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ } (الحشر: 7). إنها "هندسة مالية" قرآنية تهدف لتدوير الثروة بما يضمن نفع البشرية جمعاء، محققة "الخدمة الفعلية" عبر الحماية من الأزمات المالية الناجمة عن الجشع.

- قانون السعي والمجازاة: يؤصل القرآن لقيمة العمل والإنتاجية في قوله تعالى: { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } (النجم: 39)، مما يوفر لعلم الإدارة والتحفيز البشري قاعدة "الاستحقاق بناءً على الجهد"، بعيداً عن المحسوبية أو الانتماءات الضيقة.

خلاصة الوصل المنهجي بين الوحي والواقع: إن منهج البيان القرآني الذاتي لا يقف عند حدود التفسير اللغوي، بل يمتد ليكون جسراً يصل الوحي بالواقع المعاش عبر مسارين متكاملين:

1. المسار الفردي (التركيبية): يخدم القضية الإنسانية ببناء "الفرد الصالح" الذي يمتلك توازناً بين روحه ومادته، وشاهده قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} (الشمس: 9).

2. المسار المجتمعي (التسخير): يخدم القضية الحضارية بإدارة الكون والمجتمع وفق رؤية "التسخير"، كما في قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ} (الجنات: 13). هذا التسخير ليس استغلالاً مدمراً، بل هو "إدارة راشدة" تقوم على الأمانة والعمران.

إن استكشاف "الأبعاد الإنسانية" في خطاب القرآن ليست مجرد ترف فكري أو بحث أكاديمي، بل هي ضرورة وجودية لإنقاذ الإنسان من حالة "التيه المعرفي" واغتراب الروح. إن تطبيق الحماسية النسقية هو الضمانة الوحيدة لتحويل النص من "ذاكرة دينية" تاريخية إلى "فاعل حضاري" معاصر، يقدم للناس:

- "اليقين" في زمن الحيرة والشك.
- "العدل" في زمن الظلم والاستبداد.
- "المعنى" في زمن المادية المفرطة.

بذلك، تتحقق "عالمية القرآن" الحقيقية، لا كشعار يُرفع، بل كواقع يُعاش؛ بوصفه {هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (يوسف: 111). إن "الإنسان" هو قلب هذا المشروع، والعالمية هي الثمرة الحتمية للانضباط المنهجي في استنطاق الوحي لخدمة البشرية جمعاء، دون تمييز أو إقصاء.

فصل: الأسس الفلسفية والحضارية في بيان القرآن

1. فلسفة الكينونة: من "الإنسان المستهلك" إلى "الإنسان المستخلف"

تتجاوز هذه الأطروحة الفلسفة المادية التي تحصر الإنسان في بُعد البيولوجي أو الوظيفي (كآلة للإنتاج والاستهلاك)، لتقدم "فلسفة الاستخلاف" كبديل وجودي.

- الأسس الفلسفي: إن الإنسان في خطاب القرآن ليس كائناً "مقدوفاً به في العالم" (بالمعنى الوجودي العدمي)، بل هو كائن "مفوض" سلطوياً ومعرفياً. هذه "السلطة التفويضية" تجعل الكرامة الإنسانية حقاً طبيعياً مطلقاً لا تمنحه النظم السياسية، بل هو جزء من التكوين الجوهرى للذات البشرية.

- البُعد الحضاري: التحول من "الاستنزاف" إلى "الاستعمار" (بمعنى عمارة الأرض). الحضارة هنا ليست تراكمًا للمادة، بل هي "فعل أخلاقي" في

المادة، حيث تصبح التقنية خاضعة للمعنى، والذكاء خاضعة للضمير.

2. فلسفة المعرفة: "ديمقراطية الحقيقة" ونقد المركزية

يؤسس بيان القرآن لما يمكن تسميته بـ "إبستمولوجيا الوضوح"، وهي فلسفة معرفية تحطم جدران النخبوية والوصاية المعرفية.

- الأساس الفلسفي: عبر كسر "الكهنوت المعرفي"، يقرر القرآن أن الحقيقة ليست ملكية خاصة، بل هي "مشاع إنساني" متاح للفطرة السليمة. هذا التوجه يؤسس لـ "عقلانية مفتوحة" ترفض التبعية العمياء (نقد المنهج التقليدي المعتمد على الماضوية) وتستبدله بالمنهج البرهاني (هاتوا برهانكم).
- البعد الاجتماعي: تحقيق "العدالة المعرفية". فالتيسير القرآني هو فعل سياسي اجتماعي يهدف إلى تحرير "العقل الجمعي" من التضليل، مما يمنح الفرد العادي سلطة نقدية تمكنه من فهم مصيره دون وسطاء.

3. فلسفة التنوع: "الغيرية" كشرط للكمال الحضاري

في الوقت الذي يغرق فيه العالم في "صراع الهويات"، يقدم خطاب القرآن "فلسفة التعارف" كبديل لـ "الاندماج القسري" أو "الصراع الوجودي".

- الأساس الفلسفي: يُنظر للاختلاف (لسانياً، عرقياً، مذهبياً) بوصفه "آية" أي علامة كمال إبداعي، وليس عائقاً وظيفياً. الغيرية هنا (الآخر) ليست جحيماً، بل هي "مرآة معرفية" لا يكتمل وعي الذات إلا بها.

- البُعد الاجتماعي: الانتقال من مجتمع "القطيع" أو مجتمع "الذرات المنعزلة" إلى مجتمع "النسق المتكامل". التمايز لا يكون بالهوية الموروثة، بل بـ "الفعل الإرادي" (التقوى والعمل)، مما يؤسس لمفهوم "المواطنة الكونية" التي تذوب فيها العرقيات في بوتقة القيمة الإنسانية.

4. فلسفة الفعل: "التسخير" كمسؤولية أخلاقية تجاه الطبيعة

يقدم البيان القرآني فلسفة بيئية تتجاوز مفهوم "الحفاظ على الموارد" إلى مفهوم "وحدة الوجود الأخلاقي".

- الأساس الفلسفي: الكون ليس مادة صماء للمصادرة، بل هو "نظام موزون" (الميزان) يمتلك حق الاحترام الوجودي. "التسخير" لا يعني السيادة المطلقة للإنسان، بل يعني "التوافق الوظيفي" بين الإنسان والطبيعة.

- البُعد الحضاري: تأسيس "حضارة الاتزان". إن الأزمات البيئية المعاصرة هي في جوهرها أزمة "طغيان إنساني" على الميزان الكوني. الخطاب القرآني هنا يقدم "كواح أخلاقية" للتقدم التقني، لضمان استدامة الحياة لا استدامة الأرباح.

5. فلسفة الزمن والمصير: "الوصل التاريخي" واستعادة المعنى

يعمل البيان القرآني على وصل "اللحظة الراهنة" بـ "الأزل والأبد"، مما ينقذ الإنسان من تيه "اللحظة العابرة".

• الأساس الفلسفي: الزمن في القرآن ليس خطأً مستقيماً يؤدي للفناء، بل هو دورة من السعي المفضي إلى اليقين. استعادة "المعنى" وسط مادية القرن الحادي والعشرين هي المهمة الفلسفية الكبرى للوحي.

• البعد الاجتماعي: بناء "مجتمع الأمل". إن الشعور بالعدالة المطلقة والمصير المشترك يمنح المجتمعات قدرة على تجاوز الصدمات التاريخية والنهوض من جديد، محولاً الدين من "ذاكرة طقوسية" إلى "طاقة دافعة" (الفعل الحضاري).

الخلاصة: إن هذه الأطروحة لا تبحث عن "تفسير" للقرآن، بل تبحث عن "الروح الكونية" في الخطاب؛ تلك الروح التي تجعل من القرآن "بوصلة حضارية" تعيد للإنسان توازنه المفقود بين أرض يطأها وسماء يتطلع إليها، محققة بذلك "الأنسنة الإلهية" للمجتمع البشري.

فصل: القرآن من "النص التاريخي" إلى "المشاع الحضاري"

لم تكن غاية الوحي يوماً حكراً على فئة دون غيرها، بل كان النداء القرآني دوماً متبوعاً بـ "يا أيها الناس"، في إعلان صريح عن عالمية الخطاب ووحداية المصدر والمآل. ومن هنا، يبرز منهج البيان القرآني ليعيد اكتشاف القرآن بوصفه "وثيقة ميلاد عالمية" تتجاوز الحدود الجغرافية، والتاريخية، والمذهبية، لتخاطب الجوهر الإنساني المشترك. إن الغاية القصوى لهذا المنهج هي إمطة اللثام عن الأبعاد الإنسانية التي أودعها الخالق في النص، ليصبح القرآن "تبياناً" يقدم حلولاً كونية لمعضلات الإنسان المعاصر؛ بدءاً من أزمته الروحية، وصولاً إلى تعقيداته الاقتصادية والاجتماعية.

أولاً: سورة البقرة.. دستور "الاستخلاف" الإنساني

تتجلى سورة البقرة بوصفها "المتن الحضاري" الأكبر، فهي لم تكتفِ برسم ملامح العقيدة، بل أسست لما يمكن تسميته "عمران الإنسان". إنها تبدأ بتصنيف النماذج البشرية لا على أساس عرقي، بل على أساس "الموقف من الحقيقة"، مما يجعلها مرجعاً في علم النفس الاجتماعي.

- كرامة الكينونة: حين قال الله للملائكة "إني جاعل في الأرض خليفة"، كان هذا إعلاناً سماوياً عن قيمة الإنسان (كجنس بشري) ومنحه صلاحية الإدارة الكونية بناءً على "العلم" (وعلم آدم الأسماء كلها)، وهو بُعد حضاري يسبق كل موثيق حقوق الإنسان المعاصرة.
- التشريع كحماية لا كقيود: في آيات القصص، والوصية، والديون، لا يظهر التشريع كأوامر سلطوية، بل كـ "ضرورات إنسانية" لحفظ السلم الأهلي واستدامة الثقة بين الأفراد، مما يحول المجتمع من "غابة" إلى "مؤسسة" أخلاقية.

ثانياً: التحول من "الفئوية" إلى "المشترك الكوني"
إن الانتقال في القرآن من خطاب "بني إسرائيل" أو "الذين آمنوا" إلى خطاب "الإنسان" يمثل رحلة تعليمية للبشرية؛ حيث يستعرض القرآن تجارب الأمم السابقة لا بوصفها قصصاً تاريخية، بل بوصفها "سناً حضارية" وقوانين اجتماعية مطردة. فسقوط الأمم في سورة البقرة مرتبط بظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وطغيان المادة (الربا) على الروح (الصدقة)، وهي معضلات لا تزال تواجه العالم اليوم في ظل الرأسمالية المتوحشة.

ثالثاً: نفع البشرية في النظام الاقتصادي والاجتماعي
يقدم القرآن في سورة البقرة "النموذج البديل" الذي يحقق نفعاً عاماً للبشرية جمعاء:

- الإنسان قبل رأس المال: عبر تحريم الربا وتشريع الإنفاق، يفكك القرآن مركزية "الشيء" ليعيد مركزية "الروح"، محولاً الاقتصاد من أداة سيطرة إلى أداة تكافل.

- وثيقة المدائنة: تمثل أقصى درجات الرقي الحضاري في "مأسسة الثقة"، وهي حاجة بشرية محضة لضمان حقوق الضعفاء واستقرار المعاملات التجارية العالمية.

رابعاً: القرآن كحل للمعضلات المعاصرة

إن "إماطة اللثام" التي يسعى إليها هذا المنهج، تهدف إلى إثبات أن القرآن ليس نصاً لاهوتياً معزولاً، بل هو "برنامج عمل" قادر على ردم الفجوة بين التقدم التقني والانحطاط الأخلاقي. فالقرآن يقدم "العدل" كقيمة مطلقة، و"الحكمة" كعطاء إلهي يحرر العقل من الخرافة ومن عبودية الهوى، وهو ما يحتاجه إنسان العصر الرقمي ليستعيد توازنه المفقود.

إن البحث في الأبعاد الإنسانية لسورة البقرة هو محاولة لإعادة ربط الأرض بالسماء، ليس عبر بوابة "الطقوس" فحسب، بل عبر بوابة "القيم الحاكمة" التي تجعل من الوجود الإنساني رحلة مقدسة نحو الكمال والعدل والجمال.

خلاصة الإطار الفلسفي والمنهجي: القرآن بوصفه "بياناً
كونياً" للإنسان
هنا تلخيص مركز لما تقدم من فصول.

المقدمة التأسيسية: في عالمية النداء ومركزية الإنسان
لم تكن غاية الوحي يوماً حكراً على فئة دون غيرها، بل كان
النداء القرآني دوماً متبوعاً بـ "يا أيها الناس". ومن هنا، يبرز
خطاب القرآن ليعيد اكتشاف النص بوصفه "وثيقة ميلاد
عالمية" تتجاوز الحدود الجغرافية، والتاريخية، والمذهبية،
لتخاطب الجوهر الإنساني المشترك. إن الغاية القصوى هي
إماطة اللثام عن الأبعاد الإنسانية التي أودعها الخالق في
النص، ليصبح القرآن "تبياناً" يقدم حلولاً كونية لمعضلات
الإنسان المعاصر؛ من أزمته الروحية وصولاً إلى تعقيداته
الاقتصادية والاجتماعية.

أولاً: فلسفة العالمية والمنزع الإنساني في الخطاب

إن "العالمية" هنا ليست مجرد انتشار جغرافي، بل هي "عالمية الدلالة" و"إنسانية المقصد". تنهض الخماسية النسقية بتحويل النص من "خطاب مفسر" بآراء تاريخية ضيقة، إلى "بيان مبين" يخاطب الفطرة البشرية مباشرة عبر:

1. كسر حواجز الوصاية المعرفية: تحرير الإنسان من "الكهنوت المعرفي" والتعقيد الفلسفي الذي حال بين الفرد وبين فهم مراد الله. فالتيسير هنا هو تمكين لاستعادة الثقة بالقدرة على فهم لغة الوحي، مما يحقق "ديمقراطية المعرفة" التي تليق بعالمية الرسالة.

2. اللغة الإنسانية المشتركة (مرحلة النثر): تحويل التراكيب المركزة إلى لغة "بيانية بشرية" واضحة، تجعل القيم القرآنية (كالعدل، والجمال، والصدق) قابلة للتمثل لدى المجتمعات المختلفة كأفق ائتلافي تلتهفي عنده العقول.

ثانياً: المرتكزات العلمية للأبعاد الإنسانية

تقوم هذه الأطروحة على ركائز صلبة تمثل الأرضية الأخلاقية لـ "العمران البشري":

- أصل الكرامة الذاتية (الاستخلاف لا الاستنزاف):
الإنسان ليس ذرة تائهة، بل هو "مستخلف"
مكلف بعمارة الأرض، وشاهده: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي
آدَمَ} (الإسراء: 70). هذا الأساس يحارب
"العدمية" ويمنح الإنسان مرجعية هدفية.
- التوازن النفسي والسيادة الأخلاقية: تجريد "قواعد
إجرائية" للمرونة النفسية وإدارة الأزمات من
القصص القرآني، مما يخدم الاستقرار النفسي
والمجتمعي، عملاً بقوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}
(الشمس: 9).
- إدارة التنوع (التنوع الخلاق): القاعدة المستنبطة
{لِتَعَارَفُوا} (الحجرات: 13) تؤسس لمدينة تقبل
الاختلاف في الهويات مع الحفاظ على وحدة

المصير الإنساني، حيث التمايز يقوم على "الإرادة والعمل" لا العرق.

ثالثاً: المدارات الحضارية للخدمة الفعلية

ينتقل بيان القرآن من "الترميم النفسي" إلى "الهندسة الحضارية" عبر مسارات تطبيقية:

1. في العدل والقانون (مأسسة الأخلاق): تحويل القيم إلى "أحكام إجرائية" تنظم المؤسسات، مثل قاعدة: { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ } (الأنعام: 152) التي تؤسس للنزاهة الإدارية.

2. في العلم والمنطق الاستدلالي (عصرنة الخطاب): إيجاب "التفكير" كفريضة استكشافية تربط الوحي بالعلم ربطاً عضوياً، وشاهده: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ } (فصلت: 53).

3. في الاستدامة البيئية (التوازن الكوني): تقديم رؤية

توازنية تمنع الفساد المادي، انطلاقاً من قاعدة
الميزان: { أَلَا تَطْعَمُوا فِي الْمِيزَانِ } (الرحمن: 8)،
حيث الإنسان مستخلف لا مستنزف للموارد.

رابعاً: آفاق العالمية والوصل بين الوحي والواقع

إن صناعة الوعي القيمي بإنتاج القوانين الكلية (مثل وحدة
المصدر وتنوع المخرجات) يوفر لعلم الاجتماع والاقتصاد
مفاتيح لفهم حركة المجتمعات وإدارة الموارد بعدالة متناهية.
إن استعادة "الأبعاد الإنسانية" في بيان القرآن ليست ترفاً
فكرياً، بل ضرورة لإنقاذ الإنسان من "التيه المعرفي". إن
الخماسية النسقية هي التي تضمن تحويل النص من "ذاكرة
دينية" إلى "فاعل حضاري" معاصر يقدم "اليقين" و"العدل"
و"المعنى" في زمن المادية المفرطة، لتتحقق بذلك عالمية القرآن
الحقيقية بوصفه:

{ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }.

منهج البيان القرآني الذاتي

إنَّ البيانَ القرآنيَّ الذاتيَّ يُمثِّلُ المنهجَ والأداةَ والطريقَ الأوحدَ لاستكشافِ الأبعادِ الإنسانيَّةِ والحضاريَّةِ الكامنةِ في كتابِ الله، باعتبارِ القرآنِ الكريمِ "نظاماً معرفياً مستقلاً" ومكتفياً بذاتهٍ ومتمكلاً لأدواته التفسيريةِ الخاصَّةِ بعيداً عن إسقاطاتِ المناهجِ الوضعيةِ الغريبةِ عنه. ومن هذا المنطلقِ، يبرزُ منهجُ "الخماسيةِ النسقيةِ" كأداةٍ علميةٍ وتشغيليةٍ دقيقةٍ لتفكيكِ هذا النظامِ المعرفيِّ المتكاملِ، وتجاوزِ القراءاتِ التجزيئيةِ العابرةِ نحو رؤيةٍ شبكيةٍ غايتها استخراجُ السننِ الإلهيةِ والقوانينِ الكونيةِ الحاكمةِ للمجتمعاتِ البشريَّةِ. وتكمنُ القيمةُ الحقيقيةُ لهذا المنهجِ في قدرتهِ الفائقةِ على قيادةِ عمليةِ تحوُّلِ وجوديَّةٍ كبرى، تعبَّرُ بالقرآنِ الكريمِ من حينِ "النصِّ المسطورِ"

في المصاحفِ إلى فضاءٍ "الواقعِ الحيِّ" المعيشِ. إن هذا التحوُّلَ الميدانيَّ يهدفُ بالأساسِ إلى خدمةِ الإنسانِ في أبعادهِ النفسيةِ والاجتماعيةِ والماديةِ بصفتهِ مستخلفاً في الأرضِ، وصولاً إلى صياغةِ عقلٍ مسلمٍ قادرٍ على ترجمةِ القيمِ القرآنيةِ العليا كالعدلِ وال عمرانِ والعلمِ إلى ركائزٍ مؤسسيةٍ وثقافيةٍ متينةٍ تُقيمُ حضارةً إنسانيةً متوازنةً ومستدامةً تُلبي تطلعاتِ البشريةِ وتُصلحُ مسيرتها المعاصرة.

وهنا نقاط:

أولاً: منهج البيان القرآني الذاتي بالحماسية النسقية

يُمثل منهج البيان القرآني الذاتي بالحماسية النسقية استراتيجية استنتاجية استنطاقية وإبستمولوجية متكاملة، تهدف إلى إعادة الاعتبار لسيادة النص القرآني وتحلية مقاصده من داخله حصراً. ينطلق المنهج من رؤية نقدية ترى أن التراكم التفسيري عبر القرون قد وضع حجباً بين القارئ وبين النص، مما جعل القرآن يُفهم من خلال "أقوال المفسرين" لا من خلال "بيانه الذاتي". لذا، يعتمد هذا المنهج على "خوارزمية إجرائية" صارمة مكونة من خمس مراحل تكاملية، تبدأ بـ (التيسير) لترميم الانقطاعات السياقية، مروراً بـ (النثر) لصهر النص في وحدة بنائية، ثم (المعاني) لاستنفاد الطاقات الدلالية، فـ (الأحكام) لصياغة النظم السلوكية، وصولاً إلى (القواعد) التي تجرد السنن الكونية والقوانين الوجودية. إن الهدف الأسمى لهذا المنهج هو استعادة الأبعاد الإنسانية والحضارية للوحي، وتقديمه كمنظومة معرفية وقانونية مستقلة، قادرة على تفسير الواقع والاشتباك معه دون

الحاجة إلى إحالات تاريخية أو تأويلات خارجية قد تخرج النص عن مساره الإلهي.

أولاً: الركائز الفلسفية للمنهج (البيان الذاتي)

يقوم المنهج على أسس علمية تتقاطع مع مبدأ التبعية التفسيرية، وتستند إلى حجج وبراهين جوهرية:

1. الكفاية البيانية والاستغناء بالذات

يرتكز المبدأ الأساسي هنا على أن القرآن نص "مكتفٍ ذاتياً" من الناحية البيانية. والحجة الدامغة في ذلك هي الوصف الإلهي للقرآن بأنه {تَبَيَّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ}؛ فمن لوازم المنطق أن النص الذي يبين حقائق الوجود والشرع لا بد أن يكون هو نفسه مبيناً لذاته وقواعد فهمه. إننا هنا لا نحتاج إلى "تفسير" بمعنى إضافة معنى من خارج النص، بل نحتاج إلى "إظهار" للطاقت البيانية المودعة في نظمه. هذا الاستغناء بالذات يحرر الوحي من الارتكان للروايات التاريخية أو الترف اللغوي، ويجعل النص هو المرجع الأول والأخير في تحديد مراده، مما يمنحه صفة الإطلاقية والسمو فوق المتغيرات الظرفية.

2. من "التفسير" التقليدي إلى "الاستنطاق" المعرفي

بينما يعتمد التفسير التقليدي في كثير من أطروحاته على "الإسقاط الذاتي" أو "الخلفية القبلية" للمفسر، فإن "البيان الذاتي" ينتقل بنا إلى مرحلة استنطاق البنية النصية. الحجة هنا هي أن النص القرآني يمتلك "نظاماً إشارياً" داخلياً بالغ الدقة؛ فالبحث عما يسمى "المسكوت عنه" ليس ضرباً من الظن أو الرّجْم بالغيب، بل هو استجابة علمية لضرورات يقتضيها النظم اللغوي والمقاصدي. إن الاستنطاق يعني طرح الأسئلة الوجودية والواقعية على النص لينطق هو بإجاباته، مما يجعل المعنى يتدفق كنتاج طبيعي للاشتباك مع الوحي، لا كإقحام خارجي يُفرض على الآيات.

3. النص ككائن حي ومنظومة حاکمة

يتجاوز المنهج النظرة الساكنة للآيات باعتبارها مفردات لغوية جامدة، ليتعامل مع القرآن كـ "نسق حي" يتميز بالقدرة على التوليد الذاتي للمعنى. هذا النسق يربط برباط عضوي بين عالم الغيب (الوحي) وعالم الشهادة (الواقع المعاش)، انطلاقاً من

مبدأ "الهيمنة" القرآني. فالمجتمع والكون والحضارة هم "المفسّرون" بالقرآن، وليس العكس. إن النص هنا هو الذي يمتلك المعايير الحاكمة التي تفسر حركة التاريخ وتوجه مسار الإنسان، مما يعيد للوحي دوره كمرجعية معرفية مهيمنة تفكك شفرات الواقع المعقدة.

4. التحول نحو "اليقين البياني"

يسعى المنهج إلى نقل المتلقي من "ظنية التفسير" إلى "يقين البيان". فالاعتماد على تعدد الأقوال والاختلافات المذهبية غالباً ما يورث الحيرة ويشتت اليقين بالمراد الإلهي. أما عندما يتحدث النص عن نفسه من خلال أدواته الذاتية، فإن الحيرة تتلاشى لصالح "الحق" الذي وصف الله به كتابه. هذا التحول ينقل القرآن من كونه نصاً "مفسّراً" (بصيغة المبني للمجهول، أي خاضعاً لسلطة المفسر) إلى كونه نصاً "مبيناً" (بصيغة الفاعل، أي ممارساً لسلطته في الهداية والوضوح)، مما يحقق مقصد الوحي في كونه هدىً ونوراً لا لبس فيه.

ثانياً: المستويات الإجرائية (الخماسية النسقية)
عبر هذه المستويات الخمسة، يخضع النص لعملية معالجة
نسقية تحوله من حروف مسطورة إلى قوانين وجودية حاكمة:

1. مرحلة التيسير: (ترميم الفراغ السياقي)

التيسير في هذا المنهج ليس تبسيطاً سطحياً، بل هو فعل
"هندسي" دقيق لسد الفجوات التي يتركها الإيجاز القرآني
(المقدرات والمضمرات). القرآن نص يعتمد "الاقتصاد
اللغوي"، ومرحلة التيسير تقوم بإعادة تركيب "الروابط
السياقية" التي تجعل الآيات تتدفق كبنية واحدة بلا انقطاع.
الحجة في ذلك هي قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}؛
فالتيسير هو المفتاح الإجرائي الأول الذي يمنع تشتت المعنى
ويجعل السياق متصلاً، وهو ما نسميه "الترميم السياقي" الذي
يمهد للفهم الشمولي.

2. مرحلة النثر: (السبك والتحويل البنائي)

تأتي هذه المرحلة لتعيد صياغة النص (الآية مضافة إليها المقدرات السياقية) في قالب نثري أدبي مسترسل. الهدف هنا هو كسر الفواصل التحليلية بين الكلمات والآيات وتحويلها إلى "كتلة دلالية موحدة". إن نثر النص القرآني يسمح للعقل البشري باستيعاب "الوحدة الموضوعية" والجمالية للوحي كبنية متماسكة، مما يسهل انتقال الذهن من تفاصيل اللفظ إلى رحابة المعنى، ويمنع الوقوع في فخ التجزئة الذي عانت منه التفسيرات التجزيئية التقليدية.

3. مرحلة المعاني: (الاستقصاء المعرفي الشامل)

في هذه المرحلة الكبرى، يتم تفكيك النص "المنثور" إلى منظومة من القضايا المعرفية. المنهج هنا لا يكفي بالظاهر، بل يبحث في "المعاني النصية" (المنطوق) و"المعاني التبعية" (ما وراء النص والإشارات). إن الحجّة العلمية هنا هي "الاستغراق الدلالي"؛ فاللفظ القرآني بطبيعته يحمل احتمالات معرفية واسعة تغطي العقيدة، والكون، والنفس والعمل. هذه العملية تحول النص من مجرد "خبر" تاريخي إلى "منظومة فكرية"

متشعبة تمد الإنسان بكافة التصورات الضرورية لبناء رؤية
كونية متكاملة.

4. مرحلة الأحكام: (التقنين القيمي والتشريعي)

بعد استخراج المعاني الكلية، تأتي مرحلة "التقنين"، حيث يتم
تحويل الأفكار المجردة إلى "أوامر ونواهي" وموجهات سلوكية
(يجب، يحرم، يشرع). ينطلق المنهج من فلسفة أن القرآن نص
"وظيفي" بامتياز، لا يهدف للمعرفة الذهنية المحضة بل للتغيير
الواقعي. لذا، فإن كل آية تحمل في طياتها حكماً (سواء كان
تشريعياً أو تربوياً أو قيمياً). هذه المرحلة هي التي تربط "البيان"
بالـ "التزام"، وتحول الوحي إلى منهاج حياة يضبط إيقاع الحركة
الإنسانية في المجتمع.

5. مرحلة القواعد الكلية: (التجريد الوجودي والسنن)

هي ذروة الهرم المعرفي ومنتهى المنهج، حيث يتم تجريد "القوانين
الوجودية" المطردة من داخل النص. القاعدة الكلية هي "قانون
كوني" يتجاوز الأسباب الخاصة والظروف التاريخية للنزول.
هذه المرحلة هي التي تمنح القرآن صفة "العالمية" والخلود، حيث

يتحول النص إلى مرجع لتفسير السنن التاريخية (كيف تسقط الأمم؟) والاجتماعية (كيف تبني الحضارات؟). هنا يصبح القرآن "كتاب قانون وجودي" يربط الوحي بالواقع الكوني رباطاً عضويّاً، ويقدم الحلول الجذرية للأزمات الإنسانية عبر قوانين ثابتة ومطرّدة.

الخلاصة

إن منهج "البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية" ليس مجرد طريقة جديدة في التفسير، بل هو مشروع لاسترداد "مركزية الوحي" في الثقافة الإسلامية والإنسانية. إنه محاولة جادة لتفعيل قدرة القرآن الذاتية على التبيين، وتحويله من نص تاريخي محاصر برؤى المفسرين واختلافاتهم، إلى قانون وجودي فاعل ومستمر، يمتلك القدرة على قيادة الوعي البشري نحو اليقين والهداية والحضارة. إن هذا المنهج يحرر العقل المسلم من التبعية للأثر الخارجي، ويفتح آفاقاً لا نهائية للتدبر الذي يستنبط من النص ما يجيب به الواقع ويشيد به المستقبل.

ثانياً: مفاهيم وأسس

هنا بيان للمدخل التأسيسي لمنهج (البيان القرآني الذاتي بالخماسية النسقية)، حيث يسعى لضبط المصطلحات وتحديد المرتكزات الفلسفية التي ينطلق منها المنهج، مفرقاً بين التفسير التقليدي والاستنطاق النسقي.

أولاً: كينونة المنهج وماهيته (المقاربة الاستيمولوجية)

لا يُقدم منهج "البيان القرآني الذاتي" نفسه كأداة تفسيرية إضافية ضمن التراث التفسيري، بل كـ "استراتيجية استنطاقية" تهدف إلى إحداث قطيعة معرفية مع سلطة "الوسائط الخارجية" (سواء كانت مرويات تاريخية، أو تأويلات كلامية، أو قيوداً لغوية جافة).

- المنهج الكشفي: يقوم المنهج على اعتبار أن المعنى ليس "مُضافاً" إلى النص من قبل المفسر، بل هو "كامن" في بنية النص ذاته.
- الكفاية البيانية: المبدأ الأساس هنا هو أن القرآن الكريم يمتلك استقلالاً بيانياً تاماً، يجعله قادراً على

تبيان مقاصده من خلال نظمه الداخلي، شريطة
تفعيل أدوات القراءة النسقية التي ترفض التجزئة
والتبعيض.

ثانياً: التحديد الاصطلاحي وفلسفة التسمية

تشكل هوية المنهج من ثلاثة أركان ترسم حدوده المعرفية:

1. البيان القرآني

"البيان" في هذا السياق هو الحالة التي يتجلى فيها النص
بوضوح تام يمنع اللبس. والقرآن وصف نفسه بأنه "مبين"
(اسم فاعل)، مما يعني أنه هو الذي يمارس فعل الإيضاح. دور
الباحث هنا ليس "تبيين" القرآن، بل "إزالة الحجب" المعرفية
والتاريخية التي تراكمت فوق النص ليتجلى بيانه الأصيل الذي
يجمع بين الإخبار (المعرفة) والإنشاء (القانون).

2. الذاتية

هي "الركن الركين" في المنهج؛ وتعني أن النص القرآني هو "المرجع السيادي" لذاته. فالنص هو الذي يستدعي مقدراته السياقية، ويرسم حدود معانيه، ويؤسس لقواعده الوجودية. الذاتية هنا تعني الاستغناء المعرفي بالوحي عن أي أثر خارجي في تحديد المقاصد، والاعتماد حصراً على "السباك الداخلي" للعلاقات بين الألفاظ والجمل.

3. الخماسية النسقية

- الخماسية: تشير إلى "الخوارزمية الإجرائية" المكونة من خمس محطات (التيسير، النشر، المعاني، الأحكام، القواعد). وهي مراحل صارمة تضمن عدم القفز إلى "النتائج" قبل إتمام "البناء النسقي".
- النسقية: هي الروح الرابطة للمنهج؛ فكل مرحلة هي ثمرة لما قبلها ومقدمة لما بعدها في وحدة عضوية لا تقبل الانفصام، مما يضمن خروج "القاعدة الكلية" كنتاج علمي موضوعي لا استنباطاً عشوائياً.

ثالثاً: المسوغات المعرفية ومبررات الابتكار
تنبثق ضرورة هذا المنهج من حاجة العقل المعاصر إلى التعامل
مع الوحي كمنظومة حية عبر:

1. تحقيق "التيسير" الإجرائي: تفعيل قوله تعالى: {وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ}. التيسير هنا ليس "تبسيطاً" بل
هو "فعل هندسي" لترميم الانقطاعات السياقية
وملاء الفراغات المسكوت عنها (المضمرات) لضمان
تدفق المعنى بسلاسة.

2. تجاوز المآزق التفكيكية: تعاني المناهج التقليدية من
"تجزئة الآية" عبر الإغراق في الإعراب والمفردات،
بينما "الحماسية النسقية" تعيد صياغة النص كـ
"كتلة دلالية" واحدة عبر "النثر"، مما يحافظ على
هوية البيان ووحدته.

3. الانتقال من "الجزئي" إلى "الكوني": يرفض المنهج
حصص الآية في "سبب نزول" تاريخي محدود، بل
يسعى لتجريدها لتصل إلى رتبة "القاعدة الكلية"؛

ليكون القرآن دستوراً وجودياً يحكم السنن الكونية والاجتماعية في كل زمان.

رابعاً: الهندسة الإجرائية (الآلية التطبيقية للمنهج) يتحول النص من حالة "الصمت السياقي" إلى حالة "النطق المعربي" عبر الخطوات التالية:

1. التيسير: "الترميم السياقي" عبر استحضار المقدرات التي يقتضيها النظم.
2. النشر: "السبك الأدبي" لدمج الآية مع مقدراتها في فقرة منسجمة.
3. المعاني: "الاستنطاق الدلالي" لاستخراج القضايا النصية والتبعية.
4. الأحكام: "التقنين القيمي" بتحويل المعاني إلى التزامات عملية (أوامر ونواهي).

5. القواعد: "التجريد السنني" بصياغة القانون الكوني
المطرد المستخلص من المراحل السابقة.

خامساً: الاستحقاق الحضاري والأبعاد الإنسانية
إن المقصد الأسمى للبيان الذاتي هو تقديم القرآن كمنظومة
قادرة على "صياغة الإنسان وبناء العمران".

- القرآن كمنهج حياة: عبر الحماسية النسقية، يتحول
النص من "نص للتلاوة" إلى "خارطة طريق إجرائية".
فالأبعاد الإنسانية ليست مجرد استنتاجات عاطفية،
بل هي "حقائق وجودية" يتم استخراجها عبر
طبقات المنهج.

- بناء الإنسان وتشيد الحضارة: المرحلة الخامسة
(القواعد الكلية) هي التي تمد البشرية بالسنن
الضرورية للنهضة. فكل آية قرآنية، عند استنطاقها
ذاتياً، تمنحنا "قانوناً حضارياً" ييسر سبل الحياة
الكريمة ويخدم الوجود الإنساني في أبعاده الشاملة، مما

يجعل الوحي مستجيباً لتحديات العصر وقادراً على
قيادة القافلة البشرية نحو اليقين والرفاه.

ثالثاً: المرتكزات والمبررات

هنا تأصيل للدعائم التي يستند إليها منهج (البيان القرآني
الذاتي)، واستعراض المسوغات العلمية التي جعلت من

"الحماسية النسقية" ضرورة معرفية لتجاوز مآزق القراءات التقليدية، وصولاً إلى تحقيق الاستقلال البياني للنص القرآني.

أولاً: المرتكزات الفلسفية لنظرية البيان الذاتي

ينطلق المنهج من رؤية نقدية إستيمولوجية للمناهج التفسيرية التي أثقلت النص القرآني بحمولات لغوية، وكلامية، وتاريخية خارجة عن بنيته. ويرتكز هذا التوجه على المبادئ التالية:

- تحرير "صوت النص": يرى المنهج أن التراكم التفسيري أدى في كثير من الأحيان إلى طغيان "صوت المفسر" على "صوت النص". لذا، فإن المرتكز الأساسي هنا هو إعادة السلطة التفسيرية لمتن الوحي ذاته.
- تجلية النص لا تفسيره: يفرق المنهج بين "التفسير" كممارسة بشرية قد تصيب أو تخطئ، وبين "التجلية" كعملية كشف لمراد الله المودع في النص.

الهدف هو إتاحة الفرصة للقرآن ليعبر عن مقاصده من خلال "المقدرات" التي يقتضيها السياق ذاتياً.

- الوحدة العضوية والسيادة البيانية: الارتكاز على أن القرآن يمتلك نظاماً بيانياً مستقلاً ومكتملاً، قادراً على منح الباحث مفاتيح استنطاقه دون الحاجة إلى "استيراد" معانٍ من خارج السياق القرآني.

ثانياً: الحماسية النسقية.. مسار التحول من الحرف إلى القانون

تمثل "الحماسية النسقية" المرتكز الإجرائي (الأدائي) للمنهج، وهي خوارزمية تضمن الانتقال السلس من التحليل الجزئي إلى التركيب الكلي عبر مراحل خمس:

1. التيسير (Restoration): مرتكز "ترميم"

السياق؛ وهو فعل إجرائي ملء الفراغات السياقية عبر تقدير المضمرات والمخدوفات التي يطلبها النص

"ذاتياً" لاستقامة المعنى، مع التجرد التام من إقحام الآراء الشخصية.

2. النثر (Synthesized Prose): مرتكز "الصهر الدلالي"؛ حيث يُسبك النص مع تعويضات التيسير في تدفق أدبي واحد، لكسر الجمود التحليلي وتقديم الآية ككتلة معرفية واضحة المعالم وصالحة للاستيعاب الذهني المباشر.

3. المعاني (Comprehensive Inquiry): مرتكز "الاستنطاق الاستيعابي"؛ ويتم فيه تفكيك النص المنثور إلى جمل وقضايا معرفية، تستقصي الدلالات (النصية والتبعية) لتغطية كامل الفضاء الدلالي الذي تفتحه العبارة.

4. الأحكام (Normative Formulation): مرتكز "التقنين الإلزامي"؛ بتحويل النتائج المعرفية إلى صيغ عملية وقيمية (واجب، حرام، مشروع)، لربط البيان بالبعد السلوكي والحياتي.

5. القواعد الكلية (Existential Laws): مرتكز

"التجريد الوجودي"؛ وهو ذروة المنهج، حيث يتم صياغة قوانين كونية مطردة تتجاوز حدود الواقعة التاريخية للآية إلى عمق القانون الوجودي العام.

ثالثاً: المعيارية العملية والتجرد المنهجي

يرتكز المنهج على "معيارية صارمة" تضمن موضوعية النتائج وقابليتها للقياس والاختبار، وذلك من خلال:

- الانضباط السياقي في التيسير: حيث يتم التخلص من الإطناب اللغوي التقليدي والاكتفاء بفك شفرات السياق الداخلي، مما يضمن عدم خروج المعنى عن مراد النص.
- التوسع الأفقي في المعاني: المنهج يفرض استيعاب كل إشارة أو إيماءة نصية، مما يجعل البحث مستقصياً لكل الاحتمالات التي يتيحها "البيان الذاتي" للنص.

- التجرد من القناعات القبلية: المعيارية هنا تقتضي أن يقف الباحث موقف "المستنطق" لا "المملي"، مما يضمن ثبات النتائج عند تطبيق الخوارزمية على كتل نصية مختلفة.

رابعاً: مبررات الابتكار والقيمة المضافة (آفاق البحث)

تتجلى مبررات اعتماد هذا المنهج في القيمة المعرفية التي يقدمها للمكتبة القرآنية المعاصرة:

1. تجديد الخطاب القرآني: عبر صياغة "نثرية معاصرة" تجسر الفجوة بين لغة الوحي المقتضبة وبين إدراك القارئ الحديث، مما يجعل النص القرآني مستساغاً وقريباً من الوعي المعاصر دون المساس بقدسيته.
2. النمذجة القانونية للوحي: صياغة الأحكام والقواعد الكلية كقوانين "مطرده" يسهل استثمارها في مجالات الأخلاق، السياسة، الاجتماع، وحتى الفيزياء الكونية، مما يعيد للقرآن دوره كمرجع معرفي مهمين.

3. ترسيخ الذاتية البيانية: تقديم برهان إجرائي عملي على أن القرآن "يفسر نفسه بنفسه"، وهو ما يفتح باباً جديداً للقراءات المستقبلية بعيداً عن الصراعات المذهبية أو التأويلات الحزبية، مع تثمين الجهد التراثي ووضعه في سياقه التاريخي الصحيح.

خلاصة المرتكزات:

إن هذا الفصل يبرهن على أن منهج "البيان القرآني الذاتي" هو استجابة علمية لضرورة الانتقال بالدرس القرآني من

"التوصيف الخارجي" إلى "الاستنطاق الداخلي"، مما يضمن تقديم الوحي كمنظومة قانونية ووجودية عابرة للزمان والمكان.

رابعاً: القيمة المعرفية والنفعية للمنهج

يمثل منهج البيان القرآني الذاتي نقلة إبستمولوجية في علاقة العقل بالنص؛ فهو لا يقف عند حدود "الفهم"، بل يتجاوزه إلى "الانتفاع". تكمن القيمة المضافة لهذا المنهج في قدرته على تحويل البنية النصية إلى أبعاد إنسانية وحضارية عبر ما نسميه "الاستنطاق الغائي"، حيث تتحول المراحل الخمس من "أدوات تحليل" إلى "مخرجات استراتيجية" تخدم الوجود البشري.

أولاً: الفوائد المعرفية لشرائح المتلقين

1. للمجتمع الإنساني عامة (التيسير والتدفق)

- ديمقراطية المعرفة: يكسر المنهج حاجز "اللغة النخبوية"، محولاً النص من صيغة قد تبدو "صعبة المنال" بتركيزها البلاغي العالي إلى "نثر أدبي" مسترسل. هذا يمنح الإنسان العادي حق الوصول

المباشر إلى الوحي دون وسائط معقدة، مما يحجر العقل من التبعية الفكرية.

- وضوح المسار العملي: عبر مرحلة "الأحكام"، يجد الإنسان إجابات مباشرة لسلوكه اليومي، مما يحول الدين من "نصوص غيبية" إلى "منظومة حياة" واضحة المعالم.

2. للباحثين والمفكرين (الضبط والموضوعية)

- الخوارزمية العلمية: يوفر المنهج "خارطة طريق" تحمي الباحث من التشتت أو الإسقاط الذاتي العشوائي. فكل استنباط محكوم بمروره الإلزامي بالمراحل الخمس، مما يمنح البحث القرآني صفة "العلمية" القابلة للقياس والاختبار.
- النزاهة المنهجية: يعزز المنهج من قيمة "الموضوعية" عبر تغييب رأي الباحث ومنحه دور "المظهر" لبيان النص الذاتي، وهو قمة التجريد العلمي.

ثانياً: خارطة التحويل الإجرائي (كيف يخدم المنهج البشرية؟)
لتحويل "المراحل الخمس" إلى "أبعاد حضارية"، يتبع المنهج
آلية معالجة دقيقة تربط بين المدخل النصي والمخرج الإنساني:
1. من "التيسير" إلى "البُعد الإدراكي"

- الآلية: إزالة التعقيد السياقي وترميم الفراغات.
- الخدمة البشرية: تحقيق "الأمن المعرفي"؛ فالإنسان حين يدرك مراد الله بيسر، يتخلص من حالة الاغتراب عن المقدس، ويصبح قادراً على اتخاذ قراراته الوجودية بناءً على بصيرة لا على حيرة.

2. من "النثر" إلى "البُعد الثقافي العالمي"

- الآلية: سبك النص في لغة بيانية بشرية واضحة.
- الخدمة البشرية: "أنسنة الخطاب"؛ فتحويل الوحي إلى نثر مسترسل يجعله قابلاً للاندماج في لغات الثقافات المختلفة، مما يحول القيم القرآنية إلى

"مرجعية حوارية علمية" تتجاوز الحدود العرقية واللغوية.

3. من "المعاني" إلى "البُعد الوجودي والقيمي"

• الآلية: استخراج الجواهر النفسية (كالصبر، التدبير، العلم).

• الخدمة البشرية: "تصفير القلق الوجودي"؛ فتقديم معاني مثل "العلم درجات" بيني إنساناً متوازناً يجمع بين التواضع المعرفي والطموح العلمي، مما يعزز "الكرامة الإنسانية" في وجه المادية الصماء.

4. من "الأحكام" إلى "البُعد التنظيمي (مأسسة الأخلاق)"

• الآلية: تحويل المعنى إلى حكم إلزامي (واجب، محظور).

• الخدمة البشرية: "الحوكمة والنزاهة"؛ فعندما نُخرج حكم "إيفاء الكيل" من إطاره الوعظي إلى بُعد الحضاري، فإننا نؤسس لـ "العدالة التوزيعية" وحماية

الطبقات الضعيفة من تغول المادة، محولين الاقتصاد
من "استنزاف" إلى "خدمة".

5. من "القواعد الكلية" إلى "البُعد السنني الاستراتيجي"

- الآلية: تجريد قوانين الحركة الكونية والاجتماعية.
- الخدمة البشرية: "الاستدامة الحضارية"؛ فهم سنن التغيير (مثل وحدة المصدر وتنوع النتائج) يمنح المجتمعات القدرة على التجدد، وفهم التوازن بين الثوابت والمتغيرات، مما يحمي الحضارة من التحلل والانهيار.

ثالثاً: التكامل المعرفي وردم الفجوة بين النص والواقع

تتجلى القيمة النفعية القصوى للمنهج في قدرته على جعل القرآن "فاعلاً حضارياً" عبر:

- التجرد المنهجي: إثبات أن القرآن "تبيان لكل شيء" بذاته، مما يرد على دعوات الاحتياج الدائم للمصادر الخارجية لتفسير الحقائق الكبرى.
- عالمية الخطاب: تقديم الإسلام كمنظومة عالمية تخاطب العقل الإنساني المشترك بعيداً عن الخصوصيات المذهبية.
- الربط الديناميكي: المعاني المستنبطة ليست تجريدية باردة، بل هي معانٍ "تبعية" تلحظ حركية الحياة وتغيرات الزمان والمكان، مما يجعل النص مواكباً لكل تطور بشري.

خلاصة القيمة النفعية

إن منهج البيان الذاتي لا يفسر الكلمات، بل "يشغلها". هو يحول "المادة الخام" للوحي إلى "طاقة تشغيلية" تبني الفرد عبر (التزكية) وتبني المجتمع عبر (التسخير). إن الخدمة العظمى التي يقدمها المنهج للبشرية هي إعادة "المعنى" للوجود الإنساني، وتقديم حلول تقنية وقيمية لمشاكل العالم الحديث، انطلاقاً من

أن الوحي هو القانون الأسمى الذي يضمن كرامة الإنسان واستقرار الحضارة.

- إن الأبعاد الإنسانية في هذا المنهج تمثل "الجسر التشغيلي" الذي ينقل القرآن من كونه "ذاكرة قديمة" إلى كونه "محرّكاً معاصراً"؛ فهي لا تكتفي ببيان (ماذا قال النص؟)، بل تجيب على سؤال (كيف يجيب النص الإنسان؟)، مما يجعل المنهج ضرورة نفعية لإعادة صياغة الوعي البشري وبناء حضارة تجمع بين السمو الروحي والرفاه المادي.

خامساً: من هندسة النص إلى صناعة الإنسان

- تعد الأبعاد الإنسانية في منهج البيان القرآني الذاتي هي "الثمرة الغائية" التي تمنح العملية الإجرائية مشروعيتها الوجودية؛ فالمنهج لا يستهدف استخراج

المعاني كترف فكري، بل يسعى لتحويلها إلى "مصل حيوى" يعالج أزمات الإنسان المعاصر. وتتجلى هذه الأبعاد في أثرها المباشر على ثلاثة مستويات:

- أولاً: المستوى النفسي الوجودي (ترميم الذات):
يعمل المنهج عبر "الاستنطاق الغائي" على صياغة بُعد إنساني يسمى "اليقين السكني"؛ فبمجرد تحويل النصوص من قوالب لغوية معقدة إلى "نثر دي" ميسر، يتحرر الإنسان من "القلق المعرفي" و"الاغتراب عن الوحي". إن الأثر هنا يتجاوز مجرد الفهم إلى بناء "المرونة النفسية"؛ فحين يستنطق الباحث معاني الصبر والتدبير كقوانين مطردة، فإنه يمنح البشرية أداة لإدارة الفواجع والأزمات برؤية متزنة، مما يقلل من حدة العدمية واليأس التي تفتك بالإنسان في العصر المادي، ويعيد ربطه بمركزية إلهية تمنحه القيمة والكرامة.

- ثانياً: المستوى الحقوقي والاجتماعي (مأسسة الكرامة):

• يتحول النص عبر "الأحكام والقواعد الكلية" إلى بُعد إنساني حقوقي يتجاوز صراعات الأيديولوجيات. إن الأثر النفعي هنا يكمن في "علمية القيم"؛ فحين نُخرج "العدل" و"إيفاء الكيل" من دائرة الوعظ المسجدي إلى دائرة "القانون الوجودي"، فإننا نؤسس لمنظومة حقوقية تحمي الإنسان من تغول "الاستهلاك" واستلاب الإرادة. هذا البُعد يخدم البشرية في إيجاد "أرضية أخلاقية مشتركة" يمكن من خلالها مخاطبة الآخر بلسان إنساني جامع، يرسخ مبدأ أن "الكرامة الإنسانية" ليست منحة من أحد، بل هي استحقاق نابع من قانون "الاستخلاف" الذي تظهره مراحل المنهج بوضوح.

• ثالثاً: المستوى الحضاري والكوني (الاستدامة السننية):

• يبرز الأثر الإنساني الأكبر في قدرة المنهج على تقديم "نماذج إرشادية" للتعايش مع الكون. إن تحويل "القواعد الكلية" إلى سنن حركية يجعل الإنسان يدرك

موقعه كـ "مستخلف" لا كـ "مستنزف"، مما يؤصل
لبعد إنساني بيئي وحضاري مستدام. هذا الأثر يدفع
البشرية نحو "التواضع العلمي" الذي يعترف بأن
"العلم درجات"، مما يفتح باب التكامل بين
الشعوب وتبادل المعارف بدلاً من الصدام، ويجول
القوة المادية من أداة للهيمنة إلى وسيلة لخدمة الوجود
البشري وتشبيد عمران لا يفسد في الأرض، محققاً
بذلك "العالمية الإنسانية" التي هي جوهر رسالة
البيان القرآني.

نتنقل الآن من التنظير الفلسفي الكلي إلى التحليل الإجرائي
المحكم، متخذين من "سورة البقرة" نموذجاً تطبيقياً؛ نظراً
لكونها "فسطاط القرآن" وذروة سنامه البنيوية التي تؤسس
لمنظومة التشريع، والاجتماع، والعمران، جامعةً بين براهين
الغيب ومعطيات الشهادة.

تتمثل الطريقة العملية في إخضاع كتل السورة الموضوعية
لعمليات معالجة دقيقة تسير وفق الخطوات الخمس التالية:

١ . التحديد الكتلي (البنية الموضوعية)

يتم تقسيم سورة البقرة إلى "كتل نصية" كبرى بناءً على الوحدة الموضوعية والنسقية (مثل كتلة الاستخلاف، كتلة التشريع الاجتماعي، كتلة النظام المالي)، وليس بناءً على الأجزاء أو السور التقليدية؛ وذلك لضمان استنطاق المعنى في سياقه التام والمنسجم.

٢ . المعالجة السياقية (التيشير)

نبدأ عملياً بترميم النص عبر "التعويض المقدر"؛ حيث يتم إدراج الكلمات أو المعاني المسكوت عنها سياقياً مباشرة بعد النص القرآني. تهدف هذه الخطوة إلى تذليل "فجوات الإيجاز المعجز" وتقريبها للوعي المعاصر، مما يجعل النص الناتج قابلاً للقراءة المسترسلة كـ "بيان ذاتي" يفسر بعضه بعضاً.

٣ . التركيب البنائي (النثر)

في هذه الخطوة، نقوم بصهر النص الأصلي لسورة البقرة مع مقدراته التيسيرية لإنتاج "نص نثري" مسترسل. الفائدة العملية هنا هي تقديم المعنى للذهن كدفق معرفي واحد، يجمع

بين جلال الوحي الرباني ووضوح العبارة العربية المعاصرة، مما يرفع الحواجز الذهنية بين القارئ وبين مراد الله.

٤. التفكيك الدلالي (المعاني)

ننتقل هنا إلى استخراج "القضايا المعرفية" من النص المنشور، عبر نقاط مرقمة تستوعب كافة الدلالات النصية والتبعية. هذه الخطوة تحول الفقرة الثرية إلى "مصفوفة معلوماتية" شاملة، تغطي الجوانب النفسية، والاجتماعية، والحضارية التي طرحتها السورة.

٥. الصياغة الإلزامية والقانونية (الأحكام والقواعد)

تنتهي العملية التحليلية بتحويل النتائج الدلالية إلى ثمرتين إجرائيتين:

- أحكام مباشرة: تُصاغ بصيغة إجرائية (يجب، يحرم، يشرع) لبيان التكليف العملي للإنسان في شؤونه الحياتية.

- قواعد كلية: تُصاغ كـ "قوانين وجودية" مجردة (مثل قوانين التغيير الاجتماعي، أو قوانين التوازن الاقتصادي) تمثل الثوابت التي تحكم الكون والإنسان.

الغاية من التطبيق:

إن هذا التطبيق العملي يهدف إلى إثبات أن سورة البقرة، عبر هذا المنهج، ليست مجرد آيات للتلاوة التعبديّة، بل هي "خوارزمية وجودية" وقاعدة بيانات تشريعية وحضارية تفسر حركة "الاستخلاف الإنساني" في الأرض، وتضع الضوابط الكونية لحماية الإنسان من التيه والظلم في الأنفس والآفاق.

البيان القرآني الذاتي - الأبعاد الإنسانية في القرآن الكريم

الدكتور أنور غني الموسوي

طبيب استشاري، شاعر،

وباحث إسلامي

مؤلف لأكثر من 400 مؤلف في

الفكر والآداب والطب والقرآن.